د:فركوس ياسر **المحاضرة السادسة**

الاحتلال الوندالي ومقاومته

قبل كل شئ يطلب من الطالب الرجوع الي بعض المصادر و المراجع لهذه المحاضرة :

- محمود شيت خطاب،قادة فتح الأندلس،مؤسسة علوم القرآن منار للنشر والتوزيع،ج1 ،ط1 ،2003م
- مبارك بن محمد الميلي الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث محمد الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب الجزائر، 1986م.
- سمير نور الدين دردور، ملحمة الجزائر، مؤسسة هنداوي ، 2019

اصل الوندال :

اختلف المؤرخون في اصل الوندال و من اين يعودون في نسلهم حتي ابن خلدون اورد روايتين حول اصلهم وأرجعهم الي القوط، و هؤلاء ينقسمون بدورهم الي شرقيين و غربيين و ربما هو الاصل الراجح و الاصح لان اسم الأندلس مأخوذ من قبائل الوندال (Vandals) التي تعود إلى أصل جرماني، احتلت الأندلس حوالي القرن الثالث والرابع الميلاديين وحتى القرن الخامس الميلادي، فسميت باسمه Vandalusia أي: بلاد الوندال او الفاندال.

و بالعودة الي القوط فأولهم سكنوا شمال اوروبا ثم بدأوا بالزحف نحو اسبانيا في الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية الرومانية تعاني الضعف وبداية الانهيار . والخلاصة ان الوندال قسم من القوط ليسوا الغربيين لانهم اول ما نزلوا الاندلس دفعوا الوندال عن إسبانيا كلها و بالتالي فالوندال شعب جرمانى من القوط يدل على ذلك سياقة تاريخهم، واتحادهم في الاخلاق حتى أطلق الرومان على الجميع اسم المتوحشين، واتحادهم ايضا في الدين واللغة.

ديانة الوندال :

اتبع الوندال المذهب النصراني الأريوسي مثلهم كذلك القوط الغربيون ، وهذا المذهب الذي أوجده الأسقف الإسكندري أريوس في سنة310 م و هو ولد آريوس في قورينا (ليبيا الحالية) عام 270م، لأب اسمه أمونيوس من أصل ليبي بربري. ودرس تعليمه اللاهوتي بمدرسة الإسكندرية اللاهوتية، يجعل المسيح عليه السلام إنساناً كاملاً، وينفي عنه الألوهية، ويقول بأن الله خلقه من لا شيء، ولهذا أوصى النبي صلى الله عليه وسلم برسالته النبوية إلى هِرَقل عظيم الرّوم بمعتنقي هذا المذهب خيراً[1]، **فقال في رسالته:(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، قل يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا**

نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[ii]

بداية الاحتلال الوندالي للجزائر:

لما اشتد ضغط القوط الغربيون في إسبانيا على الفاندال أخذ الفاندال منذ ذلك الحين بمغادرة إسبانيا، فنزلوا أول ما نزلوا في الجزائر الشرقية استطاع غايسيريك القائد الوندالي أن يستولى على الشاطئ الإفريقي ومع أن الوندال فقدوا عدداً كبيراً من قومهم في هذه المغامرة، إلاّ أنهم قلّصوا حكم الرومان عن إفريقية. ووجد الرومان نفسه عاجزاً عن رد الوندال، فجنح معهم الي الصلح في معاهدة سنة 435 م.

خرَّب الوندال كل ما وجدوه قائمًا في زحفهم، ولما طلب بونيفاس من الوندال الرحيل لما لمسه منهم من عنف وغلظة ضد السكان المحليين ، و كذلك عودته عن الاتفاق الذي ابرمه معهم حول حماية عرشه من بني جلدته بعد ان اعيد له الاعتراف بولايته علي شمال افريقية ، لكن الامر كان بالنسبة للوندال أمرا مقضيا في تقدمهم ليعلن بونيفاس الحرب عليهم، لما رأى تقدمهم في الوطن وجمع جموعه فالتقى الفريقان قرب قالمة ودارت الدائرة على بونيفاس، ففر الى بونة، وتحصن بها. وذلك سنة430 م.

وبعد فراره قسم الوندال جنودهم قسمين :قسما تركوه للاستيلاء على نوميديا، وآخر وجهوه لحصار بونة. فكان يدخل مدن نوميديا بمساعدة أتباع الدونات و وبدخولهم بونة وهروب بونيفاس وقتل القسيس أغستنس Augustin في معركة فك الحصار تم للوندال احتلال الوطن الجزائري مرة اخري وذلك في مدة عامين .وقد اتَّخذوا من عنابة Hippone مقرًّا لقيادتهم.

لم يتمكن الرومان من أن يفرض نصوص معاهدتهم على الوندال التي نصت علي ما يلي[iii] :

- يدفع أمير الوندال لامبراطور رومة غرامة سنوية.

- لا يتجاوز ملكه حدود نوميديا شرقا.
- يعطي ولده هنريق رهنا على الوفاء.
- يعمل بهذه المعاهدة لمدة ثلاثين سنة.

قضت هذه المعاهدة ببقاء حق امبراطور روما في الجزائر وقبول جنسريق لان يكون تحت سيادته. فأظهر له حسن الولاء، وحافظ على مواد المعاهدة. وبعد أربع سنوات وثق الامبراطور بإخلاصه، فسرح له ولده. وذلك ما كان ينتظره جنسريق لتوسيع مملكته بفتح البروقنصلية هاجم اذا قرطاجنة 439 م من غير أن يلقى مقاومة تذكر. وأعلن نفسه ملكاً في قرطاجنة، واتخذها عاصمة له. ثم إنه تشدّد في سياسته الدينية، فأبعد الكاثوليكيين من الأشراف ورجال الدين عن البلاد، واستعبد العامة من الكاثوليك ممن لم يرضوا مغادرة البلاد، أو لم يكونوا قادرين على مغادرتها. وكذلك صادر أموال الكاثوليك وأملاكهم.

التوسع الوندالي :

نتيجة للضعف الذي كان فيه الرومان ، ففي سنة 440م هاجم جنسريق جزيرتي سردينيا وصقلية، فبعث الروم البيزنطيون أسطولاً لانقاذهما منه. فلما وصل ذلك الأسطول إلى صقلية، اضطُرّ الروم إلى ردِّه ، ثم اضطر والنتينيان الثالث إلى عقد معاهدة جديدة مع جنسريق 442 م يعترف فيها بسيادة الوندال الكاملة على الشاطئ الإفريقي[iv]. و خلال ذلك كان الوندال يهاجمون الي ان احتلوا العاصمة روما سنة 455م ل 15 يوما.

السياسة الادارية الوندالية :

عمل جنسريق علي عدم تغيير أي شئ من النظام السابق بل سعي الي استمالة البربر، وابتعد عن كل ما من شأنه ان يثيرهم عليه، بهذه السياسة شغلهم عن تدبير الثورات، ورغبهم في السلم. فكانت افريقية الشمالية على عهده في راحة من الثورات لم تعرفها في غير عصره.

ووجد البربر اذ ذاك الفرصة لاسترجاع قوتهم الحربية، لكنهم لم يستعملوها ضده ولم يهملوها بعد وفاته.

المقاومة البربرية للاستعمار الوندالي و نهايته:

ولما كان من بعده هنريق الذي لم يكن كأبيه، فلم يعامله البربر مثله. وثاروا عليه سنة 483 م بعد جمع أقلية من الارثذوكس وشردهم في الصحراء. امتدت الثورة من جبل راشد وجبال أوراس وجرجرة وما بينهما الى طرابلس. وهجم الثوار على الجهات الشمالية،كان هؤلاء الثوار منضمين من عهد جنسريق عجز هنريق عن اخماد ثورتهم. وانحصرت مملكة الوندال في السواحل وبعض الجهات الداخلية.

وجاء غندامند فلم يستطع ان يقف حرية البربر. وتقدم الجيتوليون على عهده الى ناحية قفتة. وفي عمر تراسمند تقدم البربر في لِمِ شعثهم واستعدادهم للثورة.

وفي عصر هلدريك انتصر البربر على قائده أومير، وأخذوا بذلك حريتهم. وكانت محاولات الوندال لإخضاعهم تذهب هباءا. أثارت هذه الهزائم نبلاء الفاندال، فخلعوا هلدريك وقدموا عليهم زعيماً اسم :غيلمير فخلع غيلمير هلدريك، وألقاه في السجن ثم حكم مكانه. واستنجد هلدريك بيوستنيانوس الأول ولإنه كان مشايعاً للروم على مذهبهم، بينما غيلمير كان أريوسياً. وأراد يوستنيانوس أن ينجد هلدريك لأنه كان يطمع في استرداد المقاطعات التي كانت قد تساقطت من الإمبراطورية الرومانية في غربي أوروبة وشمالي إفريقية [v]، و بالفعل كان ذلك في سنة 533 م لما استولوا علي قرطاجة ليفر غلمير الي جبال البربر لكن الروم حاصروه ثلاثة أشهر واخيرا طلب الأمان لنفسه من الروم. فأمنوه واستسلم لهم. وذلك سنة534 م وباستسلامه انتهت دولة الوندال[vi].

كانت ثورات البربر ناشئة عن سوء سياسة خلفاء جنسريق لانهم اهملوا واساؤوا واستغلوا البربر ولقد لعبت الفوضى من بعده كثيرا. ويرجع السبب الأول في ذلك إلى أن البربر الذين لم يكونوا راضين عن حكم الرومان، لم يكونوا راضين عن حكم الفاندال

---

[i] محمود شيت خطاب،قادة فتح الأندلس،مؤسسة علوم القرآن - منار للنشر والتوزيع،ج1 ،ط1 ،2003م،116 .

[ii] https://dorar.net/hadith/sharh/7181 الدرر السنية .

[iii] مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص 340 .

[iv] محمود شيت خطاب،المرجع السابق ،ص 120 .

[v] المرجع نفسه ، ص 122 .

[vi] مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص 350 .